المحاضرة الثانية (مشكلة البحث الاجتماعي وتحديدها)

تمهيد :

أشرنا في الفصل السابق إلى خصائص وخطوات البحث الاجتماعي وقلنا أن البحث يبدأ بسؤال في ذهن الباحث ، أو يبدأ البحث بعقل متسائل وتواق إلى الحقيقة والمعرفة في وجود وقائع محيرة ومشكلة . وهذا معناه ، أنه لابد من وجود مشكلة ما تثير في ذهن الباحث التساؤل أو التساؤلات التي يبدأ بها بحثه ، كما أن هذا يعني أنه إذا كان علينا أن نتناول عملية البحث الاجتماعي بالتحليل والتوضيح ، وأن نبين الصدد بمشكلة البحث الاجتماعي وكيفية تحديدها ، وذلك قبل أن نفكر في وضع خطة البحث ، وتحديد البيانات اللازمة ، والإجراءات المنهجية المناسبة ، والمجتمع أو العينة الملائمة ، وقبل جمع البيانات وتصنيفها وتحليلها وتفسيرها أو كتابة أى تقرير بشأنها ، طالما كان تصورنا للتصميم المنهجي المناسب للبحث يتوقف على معرفة هدف هذا البحث ، أن نوعية وطبيعة المشكلة التي يقدم على معالجتها .

ولعل أول ما يصادفنا في الحديث عن مشكلة البحث ، ذلك الخلط الذى قد يعلق في ذهن البعض ، بين مشكلات البحث والمشكلات الاجتماعية على الرغم مما بينهما من اختلاف . ذلك المشكلة الاجتماعية عبارة عن موقف يتطلب معالجة إصلاحية وينجم عن ظروف المجتمع أو البيئة الاجتماعية ، ويستلزم تجميع الوسائل والجهود الاجتماعية لمواجهته وتحسينه . أما مشكلة البحث فهي عبارة عن موضوع يحيط بع الغموض ، أو ظاهرة تحتاج إلى تفسير أو قضية موضع خلاف أو سؤال يحتاج إلى إجابة وعن طريق البحث الاجتماعي يستطيع الوصول إلى مثل هذه الإجابة ، هذا فضلا عن البون الواضح والشائع بين مشكلة البحث والمشكلة الاجتماعية ، فإنه يمكن أن تكون المشكلة الاجتماعية من بين مشكلات البحث الاجتماعي ، لذلك فالأخيرة أوسع وأعم من المشكلات الاجتماعية وليس العكس وذلك في ضوء الخصائص التي يمكن أن تتميز بها المشكلات ، ولذلك سنخصص جانباً من هذا الفصل لمعالجة نوعية المشكلات الصالحة للبحث الاجتماعي .

ثم ننتقل بعد ذلك إلى الحديث عن المصادر التي يمكن أن نستخلص منها أو نجد فيها مشكلات البحث الاجتماعي التي تثير التساؤل وتحتاج إلى تفسير . ونختتم هذا الفصل بالحديث عن كيفية تحديد مشكلة البحث الاجتماعي ، والمتطلبات المنهجية التي لا بد منها ، وحتى يتسنى استناداً إليها السير في خطوات البحث الاجتماعي بعد ذلك.

مشكلة البحث الاجتماعي وتحديدها

١. نوعية المشكلات الصالحة
٢. مصادر مشكلات البحث الاجتماعي
٣. تحديد مشكلات البحث الاجتماعي

أولاً : نوعية المشكلات الصالحة للبحث الاجتماعي

يجد كثير من الطلاب والدراسين صعوبة في فهم طبيعة المشكلة التي يمكن اعتبارها صالحة للبحث الاجتماعي . وهذا يرجع في جانب منه إلى أنهم لم يفهموا طبيعة البحث الاجتماعي ذاته وعلى حقيقته . فلقد سبق أن أشرنا إلى أنهم قد يظنون أن مجرد نقل أي مجموعة من المعلومات ووضعها في صورة مقال مكتوب تعد من قبيل البحث . غير أن هذا معناه أنهم يعتبرون النشاط أولا وقبل كل شيء – سواء أكان جميع بيانات ، أو إيجاد علاقة ، أن مضاهاة بين الجماعات ، أو المقارنة

بين أنجازهم – يعتبرونه بمثابة العنصر الأصلي بل هو البحث ذاته . والواقع أن أحد هذه الأوجه للنشاط لا تعد بمثابة مشكلة صالحة للبحث ، ذلك لأن البحث باعتباره تطبيقاً للمنهج العلمي ، أكثر من مجرد نشاط يقوم به الباحث .

وطالما كان البحث يتطلب عقلاً مستفسراً أثناء تنقيبه عن الوقائع ، وحتى بعد جمعها فإنه يقوم بالكشف عن معني هذه الوقائع والتعبير عنها في نتيجة واحدة . وكذلك ، يقال أنه عندما لا يكون هناك مجال لنضال فكري يفرض على الوقائع أن تكشف عن معانيها ، فإنه لا يكون هناك بحث . وإلا أصبح البحث عاملاً تستطيع الآلة القيام به . بناءً على ذلك ، يمكن القول أن النشاط الذى ينتهي بمجرد التوصل إلى معامل الارتباط بين مجموعة من المعطيات لا يعد بحثاً ، لأن هذا ما يستطيع الحاسب الألي القيام به وأن التوصل إلى وجود معامل ارتباط بين مجموعتين من المعطيات قدره ٠,٨٢ مثلاً ، ما هو إلا مجرد خطوة على طريق البحث ، لأنه يؤكد لنا فقط أن هناك ارتباطاً بين هاتين المجموعتين من البيانات ، ولكنه لا يجيب على كل ما يمكن أن يثيره هذا الارتباط من تساؤلات مثل : ما طبيعة هذه العلاقة ؟ وما السبب الرئيسي لها ؟ فالإجابة على هذه التساؤلات معناها تقديم تفسير لما يعنيه الارتباط المذكور ، الأمر الذي يتطلب نوعاً من الصراع الفكري الذى يجعل ذهن البحاث يدخل في معركة مع الحقائق الملحوظة ، أملاً في الكشف عن دلالة ومغزى هذه الوقائع المعبرة عن الارتباط ، وهذا ما لا تستطيع الآلة أن تقوم به . واستناداً إلى فهمنا لطبيعة البحث الاجتماعي .

<u>على هذا النحو نستطيع التقدم نحو بيان نوعية المشكلات الصالحة للبحث الاجتماعي :</u>

١- ليست المشكلات التي يمكن الإجابة عليها بنعم أو لا مشكلات مناسبة للبحث .

ليست المشكلات التي يمكن الإجابة عليها بنعم أو لا مشكلات مناسبة للبحث ، ذلك لأن موقف نعم أو لا لا تترك أي مجال لتفسير المعطيات بمعيار أو مستوي معروف ، ثم اتخاذ قرار مباشر بشأنها . ومثال ذلك التساؤل : هل الجو بارد في الخارج ؟ قد ننظر في الإجابة عليه إلى الدرجة التي سجلها الترمومتر كمعيار معروف ، وتقرأ الدرجة ٢٠ºم، ثم تتخذ قراراً مباشراً ، نعم إن الجو بارد في الخارج ولكا كانت المشكلات التي يمكن الإجابة عليها بنعم أو لا تقف عند حد المستوي الأكثر عمقاً والذى قد يفسح مجالاً للتفسير ، فإنها لا تعد من قبيل المشكلات الصالحة للبحث . ولذلك ليس هناك في السؤال " هل العمل المنزلي مفيد للأطفال ؟" مشكلة تصلح للبحث . لآنه أيضا سؤال يغفل النقطة المحورية في الموضوع ، فليس محور الموضوع ما إذا كان العمل المنزلي مفيد أو لا . إنما القضية التي يمكن إخضاعها للبحث ، هي أين تكمن فائدة العمل المنزلي ؟ إذا كان كذلك أو إذا لم يكن العمل المنزلي مفيداً ، فلماذا هو كذلك ؟ بحيث يتخلل البحث فيما وراء المسائل السطحية والتي تحتاج إلى تفسير ، وبحيث أنه عندما يهتم الباحث بفهم أسباب موقف معين أو الفروق الكيفية التي تميزه عن موقف آخر ، فإنه عندئذ يدخل في ذلك النطاق من المشكلات التي يصلح أن نطلق عليها اسم البحث .

٢- لا تعد مشكلات المقارنة بمثابة مشكلات صالحة للبحث .

لا تعد مشكلات المقارنة بمثابة مشكلات صالحة للبحث ، ذلك لآن المقارنة البسيطة في ذاتها لا يمكن أن تكون غاية الجهد الذى يدخل في البحث ، وأن المقارنات تمثل خطوات وسيطة فقط في ترتيب المعطيات من أجل عرضها على ذهن الباحث بطريقة تساعده على ملاحظتها وإدراك أوجه الشبه والاختلاف بينهما ، وتعينه في البحث عن الأسباب التي تستند إليها الطبيعة المغايرة والمماثلة لهذه الوقائع . فإذا قلنا مثلاً في أحد البحوث إننا نريد المقارنة بين ظاهرة الارتداد عن النظام السياسي في ألمانيا الشرقية خلال العشر سنوات من ١٩٥٠ حتى ١٩٥٩ ، وبين مثلتها خلال العشر سنوات من عام ١٩٦٠ حتي عام ١٩٦٩ . فما عليك إلا أن تضع قائمتين اثنتين من الأعداد ، الأولي توضح عدد المرتدين في العشر سنوات الأولي والثانية توضح عدد المرتدين في العشر سنوات التالية ، وقد تعتقد بهذا أنك قد أخذت مشكلة للبحث ، وأنك قد انتهت من حلها

مكتفياً بالمقارنة بين الفترتين استناداً إلى الأعداد المتوفرة ، وأغفلت بهذا ضرورة أن يتخلل البحث فيما وراء هذه المسائل السطحية والتي تحتاج إلى تفسير .

٣- المشكلات الصالحة للبحث هي التي يشعر الباحث بأهميتها من وجهة نظره.

المشكلات الصالحة للبحث هي التي يشعر الباحث بأهميتها من وجهة نظره : ذلاك لأنه من بين ما يدفع إلى البحث هو وجود مشكلة يشعر بها الباحث ويقدر أهمية دراستها والبحث عن حل لها ، ولأنه بقدر ما يكون للمشكلة أهمية بالنسبة له ، بقدر ما يزيد ما يزيد لديه الحافز الذي يدفعه إلى التفكير في جوانبها المختلفة ، ويساعده على المثابرة في تحليل أبعادها المتباينة ، ويجعله يستمر في تحمل المشاق التي يحتمل ن تواجهه في دراستها .

٤- المشكلات الصالحة للبحث هي التي يشعر الباحث بأهميتها للمجتمع الذى نعيش.

المشكلات الصالحة للبحث هي التي يشعر الباحث بأهميتها للمجتمع الذى نعيش فيه . ذلك لأنها جاءت في الوقت المناسب ، أو لأن لها صلة بمشكلة علمية في الحياة اليومية ، أو تخص السواد الأعظم من الناس في المجتمع ، أو تحص جمهور منهم له تأثيره ووزنه ، أو لها نتائج كثيرة في مجال أوسع من المشكلات الملحة في المجتمع . ولأنه بقدر ما يكون للمشكلة أهمية بالنسبة للمجتمع أو الناس المحيطين بالباحث من أحد الجوانب ، بقدر ما يضمن تعاونهم وإتاحة المناخ الملائم لإجراء دراسته ، ومد يد العون المادى والمعنوي له وتوفير الإمكانيات التي يحتاج إليها في البحث .

٥- المشكلات الصالحة للبحث هي التي يشعر الباحث بأهميتها للعلم والتخصص الذى ينتمى إليه .

المشكلات الصالحة للبحث هي التي يشعر الباحث بأهميتها للعلم والتخصص الذى ينتمى إليه : ذلاك لأنها قد تسد ثغرة في نتائج البحث في هذا العلم أو تسمح بتعميم النتائج القائمة إلى مستوي أكثر تجريداً ، أو تصقل تعريف أحد المفهومات الهامة ، أو تبرهن عن وجود علاقة بين معطياته ، أو تطور من الملاحظة وتحسن من حليل المعطيات ، أو توفر فرصة لجمع معطيات معينة تتيح إمكانية ظهور اكتشافات مثمرة في نطاق هذا العلم أو التخصص . وبناءً على أهمية المشكلة بالنسبة للعلم والتخصص الذى ينتمي إليه الباحث من أحد الجوانب السابقة ، يزيد من عائد وآثار ونتائج دراسة هذه المشكلة على تقدم البحث العلمي في نطاق هذا العلم والتخصص ، ويرفع من مكانة الباحث بين زملائه في هذا التخصص .

٦- المشكلات الصالحة للبحث هي التي يتوافر لها الإمكانيات اللازمة.

المشكلات الصالحة للبحث هي التي يتوافر لها الإمكانيات اللازمة : إذ يفترض أن يكون الباحث مدركاً للحقيقة القائلة بأن إجراء البحث يحتاج إلى إمكانيات عديدة ومتنوعة ، وكذلك فإن المشكلة الصالحة للبحث هي المشكلة التي يتوفر لها الإمكانيات اللازمة والتي تساعد على الاستمرار في دراستها والتوصل إلى حل لها . فالواقع إن إجراء البحث يحتاج إلى وقت وجهد ونفقات ، ولابد أ يتأكد الباحث من أنه سيجد الوقت اللازم لتناول مشكلة بحثه ، وأنه يستطيع أن يبذل الجهد المطلوب لها ، ويجد جهد الأخرين الذين يحتاج إليهم في جمع البيانات ، وتفريغها ومعالجتها إحصائياً على الحاسبات الإلكترونية أو غيرها ، وأنه سيحصل على النفقات الضرورية لتوفير المراجع العلمية التي تضم الكتابات السابقة حول مشكلة البحث وتعينه على الوقوف على جوانبها المختلفة ، وأنه سيتوفر له تعاون مجتمع البحث ، والمبحوثين في إتمام البحث ومده بالبيانات التي تلزمه في هذا البحث .

<u>ثانياً : مصادر مشكلات البحث الاجتماعي</u>

١- المصادر الذاتية لمشكلات البحث الاجتماعي

- الخبرات الفردية والعلمية
- القدرة على الحدس والبداهة والتخمين
- القيم والاهتمامات والميول والمطامح الشخصية

٢- المصادر الموضوعية لمشكلات البحث الاجتماعي

- الكتابات التاريخية والأدبية والفلسفية
- نتائج البحوث الاجتماعية السابقة
- النظريات الاجتماعية

وقد يقع الباحث في حيرة وتردد وهو يخطو أول خطوة له في عملية البحث ، ذلك لأنه قد يجد من الصعوبة الإجابة على السؤال : أين توجد مشكلات البحث الاجتماعي؟ و ما هو النطاق الذى يمكن أن يمدنا بمثل هذا النوع من المشكلات ؟ وهل الباحث حر في اختيار مشكلة بحثه من أي نطاق ؟ أم أن هناك حدوداً للاختيار لا يجب عليه أن يتعداها أو يتجاوزها ؟ والواقع أن الأمر لا يستدعي هذه الحيرة والتردد إذا علمنا :

أولاً : إن مشكلات البحث قد توجد في كل مكان ، وأينما تمعن النظر في العالم المحيط بك تجده مفعماً بالمشكلات التي يمكن بحثها . ومهما كان مثار اهتمامك ومصدر حبك للاستطلاع على أساس طرحك للأسئلة التي لم تجد إجابة لها أو التي لازالت الإجابة حولها مثاراً للجدل والمناقشة ، فإنك قد تجد أرضاً خصبة للمشكلات التي يمكن إجراء بحوث حولها . إن الإنسان لم يقل بعد كلمته الأخيرة في معظم المسائل التي لها أهمية في نظره . كما أن أي قطاع في الحياة أو أي ظرف في العالم الذى يحيط بك ، أو أية ظاهرة تقع أمامك أو أي حدث يمر أمام عينيك فإنه ينطوي على مشكلات لا حصر لها تستدعي اهتمام الباحثين .

ثانياً: إن الباحث ليس حراً في اختيار مشكلة بحثه من أى نطاق وإنما هناك حدود الاختيار لا يجب عليه أن يتعداها أو يتجاوزها . ذلك أن الباحث لا يستطيع أن يختار مشكلات بحثه من بين تلك التي تقع خارج مجال اهتمامه أو بعيداً عن نطاق ميدان تحصصه الذى ينتمي إليه .

وكل ما هو مطلوب منك بعد ذلك أن تذهب إلى المكتبة وتقوم بفحص أية مجلد يضم ملخصات البحوث التي أجريت في نطاق الميدان الذى يهمك ، وستشعر مرة واحدة كيف أن عالم الحياة اليومية وعالم البحث يتداخلان ويتشابكان . وتدرك في الوقت نفسه ، وبعد مثل هذه التجربة ، أن كل ما نحتاجه للتغلب على مل قد يعترضك من حيرة وتردد عند التفكير في اختيار مشكلة البحث هو النظر إلى مجال اهتمامك وميدان تخصصك نظرة فاحصة ومتأنية ، فتستطيع بعدها تنين نوعية المشكلات الصالحة للبحث .

ولقد حاول البعض تسهيلاً لعملية البحث الاجتماعي واختيار مشكلته حصر مصادر مشكلات البحث الاجتماعي وتصنيفها إلى أربعة ميادين : ميدان المشكلات الاجتماعية ، ثم ميدان النظم الاجتماعية . وميدان المجتمعات المحلية وأخيراً ميدان النظريات الاجتماعية وعندما وجد فريق ثان من الباحثين أن هذا الحصر لمصادر مشكلات البحث الاجتماعي ليس شاملاً في نظرهم ذهبوا في إجابتهم على السؤال : من أين تجئ مشكلات البحث الاجتماعي ؟ إلى أن هناك على الأقل ثلاث مجموعات كبري من المواقف المشكلة التي تؤدى إلى البحث الاجتماعي ، يمكن تصنيفها في ثلاث فئات هي : مشكلات السياسة : ونعني بها مشكلات الحياة اليومية في المجتمع ، ثم مشكلات الفلسفة الاجتماعية أو المشكلات التي يطرحها الفلاسفة والمفكرون والصحفيون ومحبو الفنون وغيرهم . والتي برغم أنها تتميز بطبيعتها الشاملة وتجاوزها نطاق العلم الاجتماعي ، إلا أنها تثير البحث الاجتماعي وتحفزه ، وأخيراً المشكلات الأساسية لتنمية العلم الاجتماعي باعتباره نظاماً

فكرياً ، وهي ذلك النوع من المشكلات التي تتمثل في اختبار الفروض النظرية وإعادة صياغتها أو تطويرها استناداً إلى ما يعرف باسم التجربة الحاسمة .

ويضيف فريق ثالث من الباحثين إلى محاولات تصنيف مصادر مشكلات البحث الاجتماعي السابقة ، بهدف تسهيل عملية البحث الاجتماعي واختيار مشكلته ، وجهة نظر أخري تشير إلى أن هناك مجموعة متباينة من المصادر التي يمكن أن نستقى منها مشكلات البحث الاجتماعي ، يمكن ردها إلى مجموعة الفئات التالية :

الخبرات الفردية والتخمينات وقيم الباحث واهتمامه ومعتقداته وميوله ، والمحادثات الشخصية وتبادل وجهات النظر بين الباحثين ، ثم التراث المكتوب من كتب ومجلات ، ونتائج البحوث ، وأخيراً النظريات .

والواقع أنه يمكن استناداً إلى هذه المحاولات السابقة في تصنيف مصادر مشكلات البحث الاجتماعي ، وإسهاماً منا في تسهيل عملية البحث الاجتماعي واختيار مشكلته أن نلخص هذه المصادر ونردها إلى فئتين اثنتين ، نطلق على الفئة الأولي ، اسم المصادر الذاتية ، ونعطي الفئة الثانية اسم المصادر الموضوعية . على ألا يفهم من هذا التصنيف أنه يمكن الفصل تماماً بين مصادر مشكلات البحث الاجتماعي في الواقع ، وإنما كل ما نهدف إليه من هذا الفصل هو مجرد الشرح والتفصيل تسهيلاً لعملية الفهم .

- **<u>المصادر الذاتية لمشكلات البحث الاجتماعي</u>**

وتضم مجموعة المصادر التي تعبر عن ذات الباحث وإرادته ، والتي تتمثل في خبراته الفردية والعلمية وقدراته على الحدس والتخمين والبداهة ، وقيمه الخاصة في البحث والحياة واهتماماته ومعتقداته وميوله ومطامحه وما يثيره من مناقشات مع غيره من الباحثين .

١- الخبرات الفردية والعلمية :

تعتبر الخبرة الفردية والعلمية التي يتمتع ويتميز بها الباحث في مقدمة المصادر التي تمده بمشكلات البحث الاجتماعي ، وكلما اتسعت دائرة هذه الخبرة وتدعمت من خلال الممارسة والملاحظة لمواقف الحياة الاجتماعية المتباينة ، ومن خلال الاحتكاك بالدوائر العلمية في البحث المناقشة ، ومخالطة الباحثين في نفس التخصص في المناسبات العلمية والمؤتمرات ، وكذلك من خلال الاطلاع باستمرار ومتابعة آخر التطورات في نتائج الجهود العلمية في ميدان التخصص ، كلما توفر للباحث مصدراً خصباً لمشكلات البحث الاجتماعي ، لا يتوفر لغيره من الباحثين الاقل في الخبرة والدراية بهذه المجالات .

٢- القيم والاهتمامات والميول والمطامح الشخصية

وتنمو لدى الباحث استناداً إلى خبراته الفردية والعلمية ، مجموعة من القيم الخاصة والاهتمامات والميول والمطامح الشخصية ، التي تثير بدورها مجموعة أخري من مشكلات البحث الاجتماعي ، وتعد بالتالي مصدراً خصباً لمشكلات البحث الاجتماعي . فإذا كان الباحث يهتم مثلاً بالنسق الديموجرافي ويعتقد أنه أفضل الأنساق الاجتماعية فإنه قد يميل نتيجة لذلك إلى اختيار الفرض القائل بأن الجماعة الاجتماعية القائمة على أسس ديموجرافية يزيد مستوي أدائها وقيامها بالواجبات ، أو يعلو الولاء بين أعضائها ، باعتبار هذا الفرض نوعاً من أنواع المشكلات الصالحة للبحث الاجتماعي .

٣- القدرة على الحدس والبداهة والتخمين

كما قد تسهم الخبرة الفردية والعلمية للباحث في تنمية قدراته على الحدس والبداهة والتخمين وهذه الأخيرة تعد بدروها مصدراً أساسيا لاشتقاق الفروض العلمية ، التي لا تخرج عن كونها مجرد تخمينات أو حلول مقترحة أو تفسيرات مبدئية تحتاج إلى اختبار أو دراسة ، ومن ثم فإن هذه القدرات تعد مصدراً آخر يضاف إلى المصادر الذاتية لمشكلات البحث الاجتماعي .

- **المصادر الموضوعية لمشكلات البحث الاجتماعي**

وهي مجموعة المصادر الخارجة عن ذات الباحث وإرادته ، والتي تتمثل في التراث المكتوب والذى يضم الكتابات التاريخية والادبية والفلسفية ثم نتائج البحوث الاجتماعية السابقة في ميادين وفروع علم الاجتماع المختلفة ، ثم أخيراً النظريات الاجتماعية .

١- الكتابات التاريخية والأدبية والفلسفية

ليست المراجع العلمية فقط هي التي توحي للباحث بأفكار جديدة بل إن الكتابات التاريخية والأدبية والأصلية بما تحتويه من وصف حساس ودقيق لميدان خصب لمشكلات البحث الاجتماعي التي تصلح للدراسة . ورغم أن الباحث الاجتماعي لا يهدف بالطبع إلى استعمال كل الأوصاف البشرية التي تزخر بها هذه الاعمال التاريخية والأدبية الشهيرة إى أنه قد يجد في عالم الأدب والتراث التاريخي أفكاراً موحية عديدة تشير إلى متغيرات هامة في مواقف الحياة الاجتماعية ، تثير التساؤل وتستدعي البحث والدراسة

كما تنطوي الكتابات الفلسفية على مجموعة من التساؤلات والمشكلات التي طرحها الفلاسفة والمفكرون والصحفيون ومحبو الفنون وغيرهم والتي على الرغم من أنها تتميز بالشمول وتجاوزها نطاق إدراك العلم الاجتماعي إلا أنها تثير البحث الاجتماعي وتحفزه . ومع أن هذه المشكلات الفكرية قديمة قدم الفكر الإنساني ذاته ، إلا معالجتها في ضوء المناهج العلمية الجديدة يثري وينمي معرفتنا ، ولهذا اعتبرت هذه الكتابات مصدراً خصباً لمشكلات البحث الاجتماعي .

٢- نتائج البحوث الاجتماعية السابقة

أذ ينطوي ميدان التخصص في العلم الاجتماعي على عديد من الفروع التي تزايد فيها البحث ، وانتهت إلى ركام ضخم من النتائج والتي يمكن اعتبارها من أكثر المصادر الموضوعية أهمية لمشكلات البحث الاجتماعي . ومن بين فروع علم الاجتماع على سبيل المثال لا الحصر : الأسرة والاقتصاد ، والثقافة والقيم ، والسكان ، والسياسية ، والطبقات ، والجماعات ، والتنظيم ، والمدينة ، والقرية ، والتنمية ، والصناعة ، والنظم ، والتغير والمشكلات ، والانحراف ... إلخ .

ولقد اقتصر بعض الباحثين في محاولته بيان كيف يمكن اعتبار ميادين علم الاجتماع مصدراً خصباً لمشكلات البحث الاجتماعي ، على نتائج البحث في المجالات التالية .

أ - المشكلات الاجتماعية

وهي التي تتمثل في انحراف السلوك الاجتماعي عن القواعد والمعايير التي يحددها المجتمع للسلوك الاجتماعي الصحيح ، والتي يكون للمجتمع رد فعل نحوها يتراوح بين مجرد الاستنكار واللوم ، وقد يصل إلى حد العقاب الرادع .

وتأخذ المشكلات الاجتماعية صوراً متعددة ، فقد تتراوح المشكلات الاجتماعية بين البساطة كخروج بعض الأشخاص في سلوكهم عن المألوف وعدم مراعاة الذوق ، وبين الشدة والتفاقم مثل صور السلوك الانحرافي والجريمة المختلفة ، وعموماً

يواجه المرء في حياته الخاصة وأثناء معيشته في الأسرة ، وكذلك في حياته العامة في الدراسة والعمل وغيرها كثيراً من المشكلات الاجتماعية ويتخذ من بينها موضوعاً لبحثه ، بناءً على إدراكه وإحساسه بهذه المشكلة وبأهمية دراستها ، أو بناء على إدراك ومعاناة الناس ومجموعاتهم من هذه المشكلة ، أو بناءً على إدراك السلطة والحكومة بوطأة هذه المشكلات وضرورة البحث عن حل لها حتى يتسنى لها أن تغير من ظروف المجتمع إلى نحو أفضل .

وهكذا ، يعتبر مجال المشكلات الاجتماعية نطاقاً خصباً يستطيع الباحث الواعي والمدرك لظروف مجتمعه أن يختار من هذا المجال واحدة من المشكلات ويتخذ منها موضوعاً لبحثه .وبإمكاننا في هذا الصدد أن نشير إلى نماذج من المشكلات الاجتماعية التي يمكن أن يتخذ منها المرء موضوعاً لبحثه :

فعلى مستوي الفرد يمكن أن تشير إلى مشكلات الخلل العقلي والانتحار والدعارة والإقبال على تعاطى المخدرات والمسكرات وسوء التكيف الفردي ، وعلى مستوي الجماعة ، يمكن أن نذكر مشكلات التفكك الأسري من توتر وطلاق وعدم توافق زواجي ، ومشكلات جماعات العمل وتفكك العلاقات بين أفرادها ، وعلى مستوي المجتمع ، يمكن أن نذكر مشكلات تفكك المجتمعات المحلية ، حضرية وقروية ، من المناطق المتخلفة والإسكان والمواصلات وغيرها ، والأزمات السكانية والتمييز العنصري وكوارث الحرب والصراع الدولي وهكذا ...

ب - النظم والعمليات الاجتماعية

وقد يختار الباحث مشكلة بحثه من مجال النظم الاجتماعية أو العلميات ، وذلك بهدف التعرف على الكيفية التي تعمل بها هذه النظم أو الميكانيزم الذى يحكم هذه العلمية أو تلك في المجتمع أو داخل إى إطار اجتماعي آخر والواقع أن التمييز بين النظم الاجتماعية والعمليات يقوم على أساس النظر إلى النظام الاجتماعي باعتباره يمثل مجموعة من القواعد والمعايير التي يستعين بها مجموعة من الأفراد ويعتمدون عليها في توجيه جانباً من جوانب حياتهم . أما العملية الاجتماعية فهي تمثل تللك العلاقات التي تتسم بالدينامية والتي تعمل إما على تجميع أو تفرقة أعضاء الجماعة أو غيرها من صور الحياة الاجتماعية .

ومن أمثلة النظم الاجتماعية ، يمكن أن نشير إلى الأسرة والاقتصاد والطبقات والتدرج الاجتماعي وغيرها ، ويمكن أن نشير إلى عمليات التغير الاجتماعي والتكيف والتنافس والتوافق والصراع وغيرها كأمثلة على العمليات الاجتماعية .

ج - المجتمعات المحلية " القروية – الحضرية ":

وقد يختار الباحث مشكلة بحثه من مجال المجتمعات المحلية ، أو يجعل بحثه مركزاً حول دراسة مجتمع محلي معين ككل Community ، ويقصد به مجموعة من الناس يعيشون في بيئة محددة ، وينتمون إلى نسق اجتماعي معين قد يغلب عليه الطابع الحضري ، بحيث ينصرف اهتمام الباحث في هذه الدراسة إلى معرفة الجوانب المختلفة لحياة الناس في هذا المجتمع المحلي ، أو التعرف على العناصر المكونة لبناء الاجتماعي لهذا المجتمع المحلي ، ومكونات ثقافته ، والكيفية التي تترابط بها هذه المكونات وتتساند معاً في تكوين كل متكامل ، أو حتى الكيفية التي لا تترابط بها هذه المكونات والنتائج المترتبة على هذا التفكك وهكذا ....

أو قد يجعل الباحث مشكلة بحثه محصورة دراسة النظم الاجتماعية أو العمليات المختلفة التي توجد أو تظهر في مجتمع محلي معين منها ، كأن يهتم الباحث بدراسة نظام الأسرة في الريف أو الحضر ، من حيث أنماطه ووظائفه ، ومشكلاته ، أو يحدد بحثه في تناول عمليات الصراع بين العمال والإرادة في مصانع مجتمع المدينة ، أو في التعاون بين الفلاحين في مجتمع القرية وهكذا .

ولكن السؤال الذى يثار هنا هو : أي نوع من نتائج البحوث السابقة يمكن أن يصلح أكثر من غيره كمصدر لمشكلات البحث الاجتماعي ؟ وقد يكتفي البعض في اعتماده على نتائج البحوث السابقة واختياره مشكلة بحثه من نطاقها ، بمجرد تجميع أي عدد من النتائج السابقة المرتبطة بموضوع معين ، ويحدد مشكلة بحثه في القيام باختبار صحة هذه النتائج في موقف جديد من حيث الزمان والمكان ، وهو موقف البحث الذى يجريه بمعرفته ، غير أنه كلما كانت نتائج البحوث السابقة التي يتخذها الباحث مصدراً لمشكلة بحثه ، تتميز بأنها نتائج متسقة أو غريبة أو غير متوقعة ، كلما ساعد ذلك من تطوير للنظرية وإضافة أفكار جديدة أو اكتشافات مثمرة .

فلقد أدى اعتماد روبرت ميرتون على النتائج المتسقة حول ظاهرة الانتحار إلى بلورة نظريته حول أثر التكامل الاجتماعي أو تضامن الجماعة على اختلاف معدلات الانتحار ، وأن هذه المعدلات تختلف اختلافاً عكسياً باختلاف درجة التكامل أو التضامن الاجتماعي .

كما أدي اعتماد روبرت ميرتون على النتائج الغريبة في دراسته لمدينة كرافتان إلى إضافة فكرة جديدة توضح أن الإدراك يعتمد على بناء العلاقات الإنسانية في المجتمع .

أدي اعتماد ستوفر على النتائج غير المتوقعة في دراسته للجندي الأمريكي إلى اكتشافات مثمرة تتعلق بنسبية المفاهيم والتصورات واختلافها باختلاف الجماعات .

٣- النظريات الاجتماعية

ويكمن المصدر الموضوعي الثالث لمشكلات البحث الاجتماعي في التساؤلات التي قد يثيرها القضايا النظرية المتراكمة من قبل ، ولهذا النوع من التساؤلات والمشكلات أهميته ودلالته بالنسبة لميدان التخصص كنظام فكري ، ذلك لأنه يسهم في تنميته وتطويره ، كما قد يكون له أهميته ودلالته بالنسبة لحل مشكلات الحياة اليومية في الواقع . وينشأ هذا النوع من المشكلات عن الاختلاف بين القضايا النظرية القائمة وبين نتائج النظرية البحوث المرتبطة بها ، أو عن التغييرات التي يمكن إدراكها في البناء النظري ، أو عن تعثر البرهان الإمبيريقي في تدعيم القضايا النظرية المقبولة ، ويتطلب اشتقاق مشكلة البحث بالتركيز على النظرية وعلى الشواهد أو النتائج المتوفرة في تراث البحث الاجتماعي حولها ، ويكشف عن الاتفاق والاختلاف أو عن التغيرات أو عن عجز الشواهد الإمبيريقية عن دعم القضايا النظرية ، ويقوم بعد ذلك بتوسيع وتطوير البناء النظري في ضوء المعطيات الجديدة التي قد يتوصل إليها من خلال ملاحظاته ودراساته الواقعية والإمبيريقية .

ومع هذه الأهمية التي تعلق على مشكلات البحث المستقاة من النظرية ، قد يكتفي الباحث في هذا الصدد ، بأن ينتقي فرضاً واحداً أو نتيجة عامة أو تعميم من نطاق نظرية من نظريات العلم الذى يتخصص في دراسته ، ويحاول أن يجعل منه مشكلة لبحثه ، ويجتهد في التحقيق من صحته أو عدم صحته .

والواقع أن تقسيم مصادر مشكلات البحث الاجتماعي على النحو السابق ، الغرض منه محاولة فهم هذه المصادر وتوضيح جوانبها ، وهو تقسيم لا يقوم في الواقع الفعلي ، ذلك لأن هذه المصادر متداخلة بعضها مع البعض الأخر لدرجة أن المشكلة الواحدة التي قد يختارها الباحث لدراسته ، يمكن أن تقع في أكثر من مصدر في وقت واحد فإذا اختار الباحث وفي ضوء خبرته وميله واهتماماته وحدسه مشكلة التصدع الأسري في الحضر فإنه بذلك يكون قد اختار مشكلة استخلصها من المصادر الموضوعية والذاتية في الوقت نفسه ، لأنها تقع في نطاق المشكلات الاجتماعية (تصدع الأسرة) والنظم (الأسرة) ، والمجتمعات المحلية (المدينة) ، و في نطاق النظرية القائلة بأن الحياة الحضرية والتصنيع يؤثران في تصدع الأسرة .

ثالثاً : تحديد مشكلة البحث الاجتماعي

وبعد أن يفرغ الباحث من اختيار المشكلة الصالحة للبحث في ضوء الاعتبارات المنهجية السابقة ، يتطلب الأمر منه بعد ذلك أن يعرض هذه المشكلة في عبارة واضحة ، لأن هذا يسهم أولاً في توضيح الهدف الذى يكمن وراء كل الجهد المبذول في هذا البحث ، ويساعد ثانياً في الوصول إلى النتائج الكافية ووضع التفسير المناسب لها . وهذا يتطلب بدوره من الباحث أن يفهم مشكلة بحثه بوضوح ويكون قادراً على التعبير عنها بعبارات واضحة موجزة دقيقة ، وأن يتمكن من تقسيم مشكلته الأساسية إلى مجموعة من المشكلات الفرعية ويعبر عن كل واحدة منها في صورة سؤال أو فرض كما أنه يكون من الضروري لفهم مشكلة البحث أن نعرف بدقة معني المفهومات والمعطيات والمؤشرات المستخدمة في التعبير عن المشكلة الأساسية كأساس يستند إليه في بحثه ، وما هي أهم فروضه ؟ ذلك لأن كل هذه الاعتبارات في مجموعها تكون ما اصطلح عليه التعبير عن مشكلة البحث أو تحديدها .

١- عرض مشكلة البحث في عبارة واضحة

وهذا يتطلب أولاً وقبل كل شيء أن يكون الباحث قد فهم المشكلة بوضوح ، وأن يعبر عنها بكلمات قليلة بقدر الإمكان وفي عبارة لا تنطوي على عيب نحوي ، وذلك حتى يتمكن كل فرد من قراءاتها وفهمها ، أو حتى يسهل توصيل مضمونها إلى غيرهم من المهتمين . وأن يبعد في ذلك عن التعبيرات غير المكتملة والتي لا معنى لها ، والتي قد تمس فقط المشكلة من بعيد أو قريب ، وأن يقوم بحذف الكلمات التي لا فائدة لها ، وأن يحرص على أن تكون العبارة موجزة ، لأن هذا الاختصار يجعلها أكثر حيوية ، وأن يختار كلماته بدقة ، وأن يحسن استخدام أدوات التوضيح اللغوي مثل الفاصلة ، والنقطة ، والشرط والأقواس وما إليها .

٢- تقسيم المشكلة الأساسية إلى مشكلات فرعية

يدرك كل باحث واع أن المشكلة الأساسية التي يعالجها تنطوي على عناصر منطقية فرعية تعرف باسم المشكلات الفرعية ، والواقع أن حل هذه المشكلات الفرعية الواحدة تلو الأخرى هو الذى يمهد الطريق نحو حل المشكلة الأساسية للبحث ، كما تمكن هذه المشكلات الفرعية من النظر إلى المشكلة الرئيسية نظرة أكثر شمولية .

على أنه يتعين أن تكون كل مشكلة فرعية مستخلصة من المشكلة الرئيسية قادرة على أن تقف مستقلة باعتبارها مشروعاً فرعياً منفصلاً في إطار الهدف الأكبر للبحث . ومن هنا ، كان من الضروري التعبير عن هذه المشكلات في صورة سؤال ، يساعد الباحث على تركيز اهتمامه مباشرة على الهدف من بحث هذه المشكلة الفرعية .

ولكن مع ذلك ، يحذر من التمادي في تفريع أو تقسيم المشكلة الرئيسية إلى أكثر من عدد محدود قد يصل إلى خمسة مشكلات . ويستطيع الباحث تجنب الأمر إذا تجنب الخلط بين مشكلات البحث وغيرها من المشكلات المنهجية والتي تعد بمثابة قرارات وإجراءات منهجية لازمة لإنجاز مشروعه ، وذلك مثل ، ما هي أفضل طريقة لاختيار عينة البحث ؟ وما هو الحجم الذى يجب أن تكون عليه العينة الممثلة ؟ وما هي الادوات التي يجب الاعتماد عليها في جمع البيانات ؟....إلخ ، وإذا استطاع الباحث أن يجمع كل مجموعة من المشكلات الفرعية في مشكلة فرعية واحدة – وبطريقة منطقية ، وإذا تجنب الوقوع في خطأ توسيع نطاق بحثه ليشمل مناطق وأهداف يعجز عن إنجازها .

ومن هنا ، صار ضرورياً على الباحث أن يقوم برسم حدود مشكلته ، ويوضح ما هي الحدود الدقيقة لها وما الذى سيضمنه الباحث في بحثه ؟ وما الذى سوف لا يدخل ضمن حدود هذا البحث ؟ وما هي حدود تفكيره ؟ وأين تكون النهاية المناسبة للمشكلة ؟ وكيف تكون البداية المحتملة ؟ ذلك لأننا نفترض أن الباحث عندما يعبر عن مشكلته الأساسية ومشكلاتها الفرعية ،

يدرك تماماً معانيها ومتطلباتها والتزاماتها ، كما يفترض أنه يكون مستعداً للوقوف بصلابة وراء كلماته ويحاول جاهداً الدفاع عنها ....

٣- توضيح المسلمات :

تستند القضية التي تعبر عن مشكلة البحث ومشكلاته الفرعية إلى مجموعة من المسلمات الأساسية ، والتي بدونها لا يكون لهذه المشكلات وجود . والمسلمات هي ما يفترضه الباحث جدلاً دون ما حاجة إلى برهان أو تدليل . وإن معرفة ما يسلم به الباحث يعد أمراً أساسياً لمتابعة سير العمل ، وتقييم ما يرتبه على هذه المسلمات من نتائج .

وقد يعتقد البعض أن تحديد المسلمات هو تحديد لشيء واضح ، ولكن نتيجة لأننا لا نحاول أن نترك للبحث شيئاً للصدفة ، ونحول دون حدوث سوء التفاهم ، نري ضرورة تحديد المسلمات بوضوح وبدون تحفظ لأن هذا سيساعد كما ذكرنا على تسهيل مهمة تقدير المشكلة على نحو أفضل .

٤- تعريف المصطلحات :

يستعين الباحث بعدد من المصطلحات والمفهومات في التعبير عن معني مشكلة بحثه ومشكلاته الفرعية . وبدون معرفة ما الذى يعنيه كل مصطلح منها صراحة لا نستطيع تقييم البحث أو تحديد ما إذا كان الباحث قد أجري بحثه على ما تعنيه مشكلة بحثه أم لا ، ونجد هنا من المناسب أن نتناول هذه الأمور بالتفصيل : ونعنى المصطلحات ، وتعريفها ، وما يثيره كل منها من مشكلات .

أ - المصطلحات والمفهومات :

تعتبر المفهومات من أكثر الرموز أهمية فيما تنطوي عليه لغة الفكر الإنساني في أي مجال من مجالاته ، فالمفهوم عبارة عن مصطلح أو رمز يمثل أوجه الشبه بين عدد متباين من الظواهر . فالرغم من أن الرجال يختلفون فيما بينهم في كثير من سماتهم الفردية ، إلا أنهم يصنفون كلهم في فئة واحدة تعرف باسم الثدييات ، علي أساس التماثل فيما بينهم في خصائص بيولوجية معينة ... وهناك إلى جانب المفهوم مصطلح أخر له أهمية مساوية هو التغير ، وهو بعد يمكن قياسه للمفهوم مثل طول أو ارتفاع الرجال . وينطوي علم الاجتماع على رصيد ضخم من المفاهيم والمتغيرات التي قد يعتمد عليها الباحث في التعبير عن مشكلة بحته ، وذلك مثل مفاهيم المكانة والدور والمعيار والتفاعل

ب- التعريفات والمؤشرات :

ولمعرفة المفاهيم والمصطلحات المستخدمة في التعبير عن مشكلة البحث وفهمها لابد من الوقوف على تعريفاتها ، ومعانيها ، وتطبيقاتها ، أو مؤشراتها . إذ تصدر معاني المصطلحات والمفهوم باعتبارها رموزاً لغوية عن تعريفاتها . والتعريف عبارة عن قول يحدد استخدام الرمز بطريقة معينة ، بمعنى أن التعريف يوضح لنا ما الذى يعنيه المصطلح . فمثلاً قد نعرف الانتحار بأنه قتل النفس بالنفس . والتعريفات ليست قوانين علمية أو شواهد تؤدي إليها . ويتسم التعريف بطبيعته التعسفية ، ولذلك فلا تعد التعريفات صواباً أو خطأ ، حقيقة أو كذاباً ، وإنما هي مجرد قول قصد به استخدام المصطلح أو المفهوم بطريقة معينة ، أو هي أقوال اتفاقية. ونستطيع أن نميز بين نوعين من التعريفات : **اسمية و إجرائية .**

وتستخدم <u>التعريفات الأسمية</u> في الحالات التي تكون فيها الكلمة المقصودة مرادفة لتعبيرات معينة أخري ، أولها معانٍ مستقرة بالفعل . مثال ذلك تعريف التجاذب الشخصي على أنه ما يؤدي إلى الاقتراب بين الأشخاص . وفي هذا النوع من

التعريفات يمكن إبدال المصطلحات المعرفة بالكلمة المحددة . ويتميز هذا النوع من التعريفات بأنه يمدنا بطريقة اختزالية في الاتصال .

أما التعريف الإجرائي فيتمثل في عملية تعيين الأبعاد التي يمكن قياسها وملاحظتها في التعرف على ما يشير إلى المصطلح أو المفهوم المحدد . بحيث أنه إذا أمكن تقديم تعريف إجرائي واضح ، يمكن التوصل إلى نتائج ، وبالتالي سهل التحقق من فروضنا . غير أن التعريفات الإجرائية لمفهومات البحث تواجه مجموعة مشكلات منها ، مشكلة تحديد الظواهر موضوع البحث ، فإذا أردنا مثلاً تقييم المشاعر التي يكونها أعضاء جماعة صغيرة متماسكة بين بعضهم البعض ، والتي قد توصف بمفهوم التضامن ، وتحدد اسمياً بأنها قوة العلاقات الشخصية الإيجابية المتبادلة بينهم ،

فإننا نواجه بمشكلة التعرف على الإجراء المناسب لقياس هذه القوة أو العواطف الإيجابية والمشاعر بين أعضاء الجماعة ؟ . وقد نهتدي إلى أن حساب عدد المرات التي يبتسم فيها الأعضاء ويسألون عن صحة وحالة زملائهم الآخرين ، يمثل قياساً لقوة العلاقات بينهم ، ولكن هذه الابتسامات قد يكون بعضها مهذباً والآخر غير ذلك ، فهل يكون القياس منصباً على نوع دون الآخر ؟ كما أن هذه المشكلة تزداد حدتها في البحوث ذات الطابع الحضاري المقارن ، نظراً لاختلاف التعبير بالابتسامة من مجتمع إلى أخر . كما تعد مشكلة توفر الملاحظين ذوي الكفاءة والمدربين على القياس بمثابة نموذجاً آخر على أنواع المشاكل التي تواجه عملية التعريف الإجرائي للمفهومات .

وللتقليل من اللجوء إلى التعريف الإجرائي في البحث ، والتغلب على مشكلاته ، ولربط المتغيرات المجردة بالواقع موضوع الملاحظة ، يمكن استخدام المؤشرات ، حيث تحدد مثلاً لمفهوم مثل القيادة أبعاداً عديدة منها الوضع الأعلى والسمعة والقدرة على اتخاذ القرارات ، والمشاركة الاجتماعية .

ولما كان من الصعب تحديد كل هذه الابعاد بطريقة إجرائية ، يكتفي الباحث باختيار مؤشر منها أو أكثر للدلالة على المفهوم ، حتى يسهل عليه ربطه بالملاحظة ويجري دراسته على أساس علمي . هذا ، ويعتمد اختيار واستخدام المؤشرات على توافر البيانات ، واحتمال الحصول على أنواع معينة منها ، وعلى النظرية التي توجه الباحث ... وتتأكد فائدة المؤشرات عندما تكون المفهومات المستخدمة غامضة ، ولا يتوافر لها المقاييس المباشرة .

٥- صياغة الفروض :

أو بلورة مشكلة البحث في صورة فرض أو فروض تساعد في اكتشاف حلها وتهديك في تحديد الوجهة التي تسير فيها بحثاً عن الوقائع . وما الفروض إلا مواقف مبدئية أو تخمينات ذكية يقدمها الباحث لتعينه على تنظيم تفكيره في حل مشكلة البحث – ولهذه الفروض أهميتها ، لأن الباحث في حاجة إلى بعض النقاط التي يهتم بها البحث والتي من خلالها يتجه نحو البيانات المناسبة ، ولأن هذه الفروض تسمح للباحث ولغيره بإدراك وفهم مشروع البحث في جملته التي تحفز الباحث على العمل.

هذا ، وقد يعبر عن المشكلات الفرعية في البحث في صورة فروض ، وهنا يكون لدينا عدد من الفروض بطريقة معقولة . وعلى نحو يوضح الارتباط بين بعضها الآخر في خطة البحث ومشروعه . على أن نأخذ في اعتبارنا الشروط المنهجية في صياغة الفروض العلمية ، واشتقاقها من مصادرها المعروفة . وفي تحديد مشكلة البحث الاجتماعي على النحو السابق ،

والذى يمدنا بصورة واضحة عن هذه المشكلة ، لا يجب أن يغفل الباحث ضرورة الإشارة إلى أهمية البحث ، ويوضح في اختصار الأسباب التي دفعته إلى إجرائه ، ويبين دلالتها وأهميتها النظرية ، ويشير في الوقت نفسه إلى قيمتها العلمية أو التطبيقية ، الأمر الذى سنزيده تفصيلاً عند حديثنا عن تصميم خطة البحث الاجتماعي في المحاضرة التالية .

<u>اسئلة المحاضرة:</u>

السؤال الاول:

((الباحث ليس حراً في اختيار مشكلة بحثه من أي نطاق وإنما هناك حدود الاختيار لا يجب عليه أن يتعداها أو يتجاوزها.))

اشرح / اشرحى العبارة السابقة في ضوء شرحك لمصادر مشكلات البحث الاجتماعي

السؤال الثاني:

تحدثي / تحدث بالتفصيل عن نوعية المشكلات الصالحة للبحث الاجتماعي